نحو الفجر

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

المقدمة :

إن الذى يأمل للانسانية فجراً تنجاب فيه ظلمة الغيم والشر ، يرى فى فجر كل نهار رمزاً له ووعداً به ؛ فيتطلع بهذا الرمز وينتظر إنجاز الوعد آملا أن النومة التى يخدت فيها للانسانية كابوس من الأضغان والأذى والتناذ والكيد ، والاستهتار فى الباطل بالحق ، يكون فيها أيضاً نسيان لخصالها الوضيعة يدركها من طريق سنة النوم فتستيقظ فى خلق الحق والخير (الناظم)

* * *

أرقتُ فطال الليل أم طال بى عمرى ... كأن انجياب الليل فى موعد الحشر

كأنى فى لج من الليل غارق ... سوى هدأة لم تُلْفَ فى لجج البحر

كأنى غريب من حراك لواعجى ... بعالم صمت غاله الصمت من سحر

كأن غصون الدوح فى حندس الدجا ... رءوس ثكالى أرسلت أسود الشعر

كأن النجومَ الغانياتُ تَرَهَّبَتْ ... تبيت طوال الليل تعبد فى دير

أو الفلُّ مزروعاً بحقل ينفسج ... وكاللازورد الأفق رُصِّع بالدر

أو أنَّ ثقوباً فى جدار زبرجد ... تَطَلَّعُ منها الغيدُ يشرفن من خدر

أقلب طرفى بينها مُتَفَهِّماً ... تَفَهُّمَ معنى اللفظ فى صفحة السِّفر

كأن الدجا دَيْرٌ به البدر راهب ... جميل المُحَيَّا حوله هالة الحبر

كأن صقيعاً قد كسا الأرضَ نورُه ... أو أن عليها أبيض الطهر مايُرى

كأن فراشاً أبيضاً مَدَّ نُورُه ... مهاداً لروح أو شبا كامن السحر

أما يذهل الراؤون من سحر صونه

وقد تحسب الأحلام تسرى وما تسرى

وإن تلكُ أحلام فأوهام خاشع ... عراه جلال الحسن فى الليل والبدر

أيحلم هذا الدوح فى سحر صونه ... فقد خلته من هدأة النوم فى أسر

كأن خفيف الدوح أضغاث حالم ... أو أنَّ حديثاً بينه خافت السر

أدور بعينى لا أرى غير ساكن ... فأين احتيال الناس بالغدر والمكر

وأين نشاط القوم للهو والهوى ... وأين مساعى الناس فى الخير والشر

ألا ليت نسياناً كذا النوم ساقياً ... يدير لهم كأساً ألذ من الخمر

لتذهلهم عن كل شر وفتنة ... فيستيقظ النوّامُ فى خلق الطهر

خواطر آمال أُسَلِّى بها الدجا ... وتمضى مُضَىَّ الليل أو طيرة الطير

فلما تقضَّى الليل وانجاب جنحه ... رأيت صباحاً يصبغ النبت بالتبر

تَشُوب اخْضِرارَ الروض صفرةُ ساطع

من الضوء مثل الغيد فى حلل خُضْر

كما تينع الأثمار شاب اخضرارَها ... لدى النضج لونٌ فى غلائلها الصُّفْر

كأن نبات الزهر من نبت جنة ... رمى مَلَكٌ من أفقها الأرض بالبذر

أظل وطرفى فى مدى الأفق ذاهل ... أحاك عليه الفجر وشياً من السحر

ويرنو إلىَّ الفجر من خلف ظلمة ... بنور كما شَفَّ الرمادُ عن الجمر

كأن تماتاً فى الدجا أهلك الدُّنا ... فتبعث فيها الروح فى وضح الفجر

كأن كيان الكون يخلق ثانياً ... فإن انفجار الفجر كالخلق والنشر

تخال تباشير الصباح أزاهرا ... اذا مابدت فوق الشجيرات كالنُّوَّر

فيختلط الزهر ان حسناً ومنظراً

ويزداد نظرُ الحسن من مشهد النَّظْر

تحدَّث أنباء السماء بمشرق ... من الضوء مثل الرُّسْل تُبْعَثُ بالخير

تبادهنا منها محاسن جمة ... كما باده الأذهان من حَسَنِ الفكر

تفض ختام النفس عن كل ذكرة ... وكم ذِكَرٍ فى الضوء والزهر والعطر

تذكرنا الآمال والحب والصِّبَى ... كأن رواء الصبح ضرب من الشعر

كذلك يندو منظر الحسن ذكرة ... وخاطرة فى النفس تُسعِدُ فى الضُّر

وتستيقظ الأرض النَّؤُوم إذا حنا الصـ ... ـباح عليها يلمس الثغر بالثغر

كما استيقظ الطرف المُغَمَّضُ بعدما ... أريق عليه ساطع من سنا البدر

تحن اليه النفس من بعد ظلمة ... فتحكى حنين الطير تهفو إلى الوكر

ترى الصبح يجلو النهر كالغين سيفه ... ويذكى الندى فوق الشجيرات كالجمر

أُطِلُّ بأفكارى على النهر مثلما ... لدُنْ هدأة يختبو النبات على النهر

تصب عليه الشمس رقراق عسجد ... فيعلو جبينَ النهر نهرٌ من التبر

ترى تارة فى متنه الماء راجفاً ... كما ارتعدت أبشار غيد من القُرِّ

وتحسب أن النهر يشعر بالذى ... يعالج من حالَيْهِ فى القر والحر

ترى النهر مثل العين سحراً وبهجة ... ويُملأ مثل العين بالصور الكُثْر

يبوح بسر الحسن لونٌ مجدد ... ولولاه ما ألفيت فى الكون مايُرى

وأروعه ما كان منه فجاءةً ... فجاءة صبغ النهر من سُحُبٍ حُمْر

وليس رواء الكون فى الصيف وحده ... فرب شتاء نائر أيما ذُخْر

جلال يريح النفس من بعد رونق ... نصيبك من سحرين فى الحر والقر

على أن ذكرى الصيف فيه جلية

ففى النهر من ذِكْرٍ وفى الروض من ذكر